

تقديم:

كلمات رقيقة تزين هذا الكتاب، معاني عميقة تختبئ خلف الكلمات، وأحلام ساحرة حائرة تطوف صفحات هذا الكتاب بلا توقف... تناجي الكلمات، تداعب الأحرف، تواسي البائسين، ترثي لحال المساكين، وتمسح دموعات الفرح والحزن عن خدود موشحه بأطياف الغروب.

خريف الذكريات أهات مثقف ملتزم رأى آمالا عريضة تحترق أمام عينيه... تأملات فيلسوف جلس على قمة الجبل يراقب بحر الأمانى، والبحر يعضب، ويصفو، يحزن ويتسم لنهر الشوق الأبدى يصب فيه كل ما فيه من عشق... مشاعر أب وأستاذ تتدفق من قلب يفيض حنانا وكبرياء... قلب نابض بحسب لم يكن لليأس أو للوهن أن يتسرب إليه أبدا.

الدكتور محمد ربيع، والذي يحلو لي مخاطبته " دكتور Spring " هو فيلسوف ومفكر وعالم وأستاذ جامعي، يحترف التعلم، ويعشق التعليم، يغازل الفلسفة، يهوى الصراع مع الفكر، ويبحث عن حقيقة الحقيقة دون ملل أو كلل... يقوم بكل هذا حبا للمعرفة، تحقيقا لذاته، وخدمة لما هو إنساني في الإنسان، ولكل ما هو جميل في الكون.

الدكتور ربيع إنسان يحارب الجهل والفقر، يقاوم الكبت والظلم، يعاند البؤس واليأس، يعانق الحرية ويحتضنها بحب وشغف... ويعكس في كل هذا تجربة حياتية ثرية، بدأت مع رحلة التشرد من فلسطين في عام 1948، ونمت في مخيمات البؤس في أريحا، وطافت بلادا ومدنا كثيرة قبل أن تستقر في ذاتها، وتدخل مرحلة النضوج في ظللال العديد من الجامعات العربية والأمريكية والأوروبية، وصولا إلى أعلى الدرجات العلمية وأسمى الرتب الأكاديمية.

لقد تعرفت على الأخ والصدیق محمد ربيع في واشنطن، حيث جمعنا غربة الروح واغتراب الجسد، وكان في حينه منغمسا في خدمة القضية الفلسطينية، يؤسس لعملية السلام التي بدأت باعتراف أمريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية. لقد شاهدته يني تلك العملية لبنة لبنة بعقله، وجهده، وسهره، وأفكاره الخلاقة، وأسفاره التي أصبحت جزءا من مكونات شخصيته، وجعلت منه بدويا يتنقل من مكان للآخر بحثا عن كلاً الفكر، وشفاء الغربة، وعطر العشق، وعذاب الشوق، ودفئ الوطن، وحنان الطبيعة... ويعيش في تجواله وترحاله عذاب الشتات، ربيع الحب، وخريف الذكريات.

وفي لحظة من لحظات التأمل المتلهفة لمعرفة الحقيقة، وقف هذا المفكر أمام نفسه ورحلة حياته طويلا، ليكتشف أن مخاض السهر والسفر قد انتهى باعتراف أمريكا بمنظمة التحرير، وأن الجهد قد أثمر حوارا بين الطرفين. وهنا قرر أن يعود إلى حرفة التعلم، وهواية التعليم، ورياضة العقل، وأن يعطي لها كل ما عنده. لكنه لاحظ أن هناك موهبة كانت تعذب عليه منذ كان صبيا، وتلج عليه بالإصغاء لندائها... إنها موهبة الشعر التي كان يعتقد أنها دفنت في مخيم عقبة جبر يوم أحرقت أمه أشعار طفولته المدونة على دفاتر متواضعة من هبات وكالة غوث اللاجئين، خوفا عليه من عساكر جاهلية احترفت كبت الفكر واعتقت بالحرية.

وحين استجاب الدكتور ربيع لنداء الشعر وجد نفسه يكتب فكرا في صورة شعر، وي طرح علما في كلمات تبعث الفرح وتنعش الروح، ويتعاطى الفلسفة في سطور تصف تكوين الذات بكبرياء البساطة، وعنفوان الحسب، وثقافة العلم، وأمانة المؤمن.

خريف الذكريات هو مجموعة أشعار تعبر عن شخصية الدكتور ربيع، تلك الشخصية التي كانت ولا تزال ثورة علمية لا تهدأ، ونبوع فكر لا ينضب، ونهر عشق يتغذى على عطر الربيع، وحنان الطبيعة، وفسوة الغربة، واغتراب الروح، ودفئ الشتاء، وعيون السماء، وثمار الصيف الناضجة، وأهات الحسان، وأطياف الخريف، وخريف الذكريات.